مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الحادي والعشرون - المجلد السادس - اللغة العربية - تموز 2023 م
doi.org/10.52866/esj.2023.06.21.11

السحر الحلال
في الادب العربي- العباسي

أ. م. د. عبد الرحمن حميد ثامر
كلية المعارف الجامعة - قسم اللغة العربية
dr.abdulrahman@uoa.edu.ig

مستخلص:

من أجل تقديم رؤية جديدة لجمالية اللغة العربية وتحبيبها الى نفوس الناشئة في الوقت الذي نشهد فيه تراجعاً لهذه اللغة الطيبة ، نأمل ان يكون هذا البحث محفزاً لرعايتها والدفاع عنها عبر ابراز الصورة المشرقة المتمثلة في السحر الحلال في البيان العربي الذي تشتد الحاجة اليه على مستوى الافراد والجماعات . فلطالما عملت الكلمة الطيبة المؤثرة على جمع القلوب وتوحيد الناس في مجتمع فاضل ، فضلاً عن ان اللغة العربية وخدمتها واجب مشرف لإرتباطها بالدين والقومية والهوية .

الكلمات الافتتاحية : اللغة العربية – سحر البيان – السحر الحلال – أثر البيان – الشعر .

Permissible Magic in Arabic-Abbasid Literature

Asiss. Prof. Dr. Abdul Rahman Hamid Thamer
University College of almaearif - Department of Arabic Language

Abstract :

In order to present a new vision of the aesthetic of the Arabic language and its endearment to the souls of young people at a time when it is witnessing a decline, we hope that this research will be a catayst for its care and defence by highlighting the honorable image represent in the halal magic in the Arabic statement, which is much needed the level of individuals and groups. The influencer works to unit hearts and unit people in a failed society, adding that the Arabic language and its service is an honorable duty Because It is linked to religion, nationalism and gift.

Arabic language. The magic of the statement Halal magic. Following the statement. Poetry

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل المودة خطاباً أميناً، والصلاة والسلام على من تلقى أقرأ لساناً مبينا، وعلى آله وصحابته الذين جاهدوا في الله دنيا وديناً وبعد :

كان العرب منذ الجاهلية يعشقون الكلام الجميل، ويقع في نفوسهم موقع السحر، وينشط في أسواقهم الأدبية المعروفة، ويستطيع المتحدث إيصال رسالته مع التأثير ودقة التعبير ولعل الذين اطلعوا على هذا السحر الحلال، وحاكوه، وتكلّموه استقامت السنتهم على الطريقة المثلى .

اللغة العربية ترتبط بالدين، والقومية، والوطنية، والهوية، وهي الحاضرة في جميع المواقف، فعلى كل عربي أن يعد اللغة شرفه وإنسانيته من أجل أن تشرق شمسها ساطعة مواكبة، ومتقدمة على اللغات. ان المخاطر محدقة بلغتنا الجميلة، وقد تراجعت العربية الفصحى لذلك فان مبادرة يسيرة تروّج لاستعمال الفصحى، والغيرة على العربية خير من مؤتمر يوصي بقرارات لا تنفيذ لها، سنحاول في هذا البحث أنْ نقدم رؤية جديدة لتذوق اللغة العربية، والاعتزاز بها، والوقوف عند جماليتها تجاه هذا التوجه المعادي للغة العربية، في زمن الانترنيت، والاتصالات التي ادهشت الجيل العربي الجديد، والاثار السلبية المترتبة عليها. وقد تضمن البحث المقدمة ومعنى السحر لغة واصطلاحاً. وثلاثة بحوث ذكرنا في الأول أهمية البيان والسحر الحلال، وفي الثاني مستلزمات هذا السحر، من تناسب اللفظ والمعنى وغير ذلك. وفي المبحث الثالث انتقلنا لترجمة ذلك في الميدان، واستشهدنا بأمثلة تؤيد ما ذهبنا إليها إن شاء الله من آراء ومقاصد.

نسأل الله أن يوفقنا لخدمة لغة القران الكريم . والحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

فرضية البحث :

نأمل أن يكون الإنسان العربي ولا سيما من الناشئة من الأوفياء للغة القرآن الكريم وتكون هي محل اعتزازه وفخره وهي هويته التي تمثل وحدة المشاعر وتوحد الناس على اختلاف انتماءاتهم وديانتهم لسحر البيان فيها، ولا يحاول التحدث باللغة الأجنبية أو المزج بين العربية والأجنبية، أو يشعر بالخجل من التحدث فيها في أي موقف كان .

لماذا لا تمد الجامعات في البدان العربية الجسور مع الماضي المشرق لهذه اللغة في الحديث والكتابة والمناهج وتفتح عيون الطلبة على جمالية وشفافية اللغة العربية واسرارها؟

السحر الحلال في اللغة والاصطلاح :

– لغة:

السِّحْر : ((كل ما لَطُفَ مأخَذُه ودَق فهو سِحْر. والساحر العالم . وسَحرَه: أيضاً خَدعَه وكذا إذا عَلَّله))[1] .

إن المقصود بالسحر هنا هو البيان . والبيان عند علماء اللغة: الفصاحة واللَّسن وفلان (أَبَينُ) من فلان أي أفصح منه وأوضَح كلاماً. و(البيان) أيضاً ما (يتبّين) به الشيء من الدلالة وغيرها . وبان الشيء يبينُ (بياناً) اتَّضح فهو (بَيّن) وكذا (أبان) الشيء فهو (مَبين) [2] .

وفي الحديث الشريف ((إنَّ من البيان لسحراً))[3].

(1) مختار الصحاح : 288 مادة سحر .
(2) م. ن : 72 .
(3) مسند الامام أحمد 2/ 591.

- اصطلاحاً:

((يعني ان بعض البيان يعمل عمل السحر. ومعنى السحر: اظهار الباطل في صورة الحق. والبيان : اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن. وانما شبُّه بالسحر لحدة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له))[1].

والبيان اسم شامل لأي شيء يكشف لك قناع المعنى وبأي شيء بلغت الافهام ، فهو البيان [2] .

السحر الحلال و السحر الحرام :

السحر الحقيقي محرمٌ كله بلا استثناء. أما البيان فليس سحراً في الحقيقة ، مثل السحر في استمالة القلوب، فهذا حسن إذا لم يصرف الى باطل، في الكلام الجميل المؤثر[3].

المبحث الأول

أهمية البيان والسحر الحلال

من نعم الله علينا وهو القائل : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ (الرحمن: 3 – 4).

وهو القائل سبحانه :﴿عَرَبِيّ مُّبِينٍ﴾(الشعراء: 195) بشأن الكتاب المنزّل. والبيان سحر لا يدانيه سحر، وهو السحر الحلال، وبفضله نتمكن من صياغة الكلمات المضيئة ويصنع في القلوب صنيع المطر في التربة الطيبة، ولاسيما إذا خرج من القلب فانه يدخل القلوب، على نية المتكلم، مثل ينابيع الحكمة تخترق الاذان لتملأ القلوب عقولاً. ومن يرزق مثل هذا البيان الذي يأخذ بزمام الكلام يتمكن من جمع القلوب المتنافرة وتوحيدها، وتتعلق به الابصار . قال أبو تمام :

من السَّحْرِ الحلال المجتَنية
ولم أرقب لها سِحْراً حلالا[4]

وعقد الجرجاني فصلاً في فضل علم البيان قال فيه: ((إنك لا ترى علماً هو ارسخ اصلاً، واسبق فرعاً ، وأحلى جنى، وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدّر، وينفث السحر، ويقرى الشهد، ويريك بدائع الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر))[5].

وهذه الأهمية دعت ابن قتيبة أن يؤلف كتابه الذي اسماه (أدب الكاتب) وقال: (رأيت هذا الشأن كلَّ يوم الى نقصان) [6] .

وموسى عليه السلام ، يسأل الله عندما بعثه لتبليغ الرسالة الى فرعون الابانة عن الحجة ، والافصاح عن أدلته : ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ يَفْقَهُواْ قَوْلِى﴾ (طه: 27 – 28).

وقوله سبحانه وتعالى على لسان موسى – عليه السلام – :﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص: 34) وقال سبحانه وتعالى على لسان موسى – عليه السلام – ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ (الشعراء: 13).

رغبة منه للإفصاح بالحجة ((والمبالغة في وضوح الدلالة. لتكون الاعناقُ إليه أميْلُ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس اليه اسرع)) [7] .

و قال تعالى:﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى﴾ (آل عمران: 138) .

---

(1) ديوان العرب (ان من البيان لسحراً):
https//:www.diwanarab.com

(2) البيان والتبيين : 70/ 1.

(3) ديوان العرب: رقم الفتوى 106504 – 2008/ 3/ 31م.

(4) ديوان (أبو تمام) : 201.

(5) دلائل الاعجاز : 13.

(6) ادب الكاتب : 18.

(7) البيان والتبيين : 26/ 1.

ومدح – سبحانه وتعالى – القرآن وقال﴿عَرَبِيّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: 195).

والعي هو ضد الفصاحة والبيان و مما يُعيَّر به الرِّجال ، وكانوا يتعوّذون من العي والحصر ،

يقول بشار :

وعيٌّ الفِعَالِ كعيِّ المقال

وفي الصمت عِيٌّ كعِّي الكَلِمْ (1)

فيضربون الامثال بالرجال الذين إنمازوا بالبيان أو العي والمشهور من هؤلاء الرجال:

سحبانُ مَثَلٌ في البيان ، وباقِلٌ مثل في العِيّ .

البيان ترجمان العلم :

قال يونس بن حبيب: ((ليس لعييٍّ مروءة، ولا لمنقوص البيان بهاء، ولو حكَّ بيافوخهِ أعنان السماء)) (2)

ولهذا نقف على أهمية هذا البحث، من أجل التبرؤ من هذا العيب، ولعل الناشئة يلجأون الى تعلم البيان . للتعبير عن مستلزمات العلم في الميادين المختلفة بالكلام الجميل .

هذا البيان الذي يشمل الإشارة واللفظ فقد تنوب الإشارة بالعين أو اليد عن الكلام، عندما يضعف الإفصاح عنها باللسان. وربما تكون الإشارة أبلغ :

وللقلبِ على القلب دليلٌ حين يلقاهُ

وفي الناس من الناسِ مقاييسُ واشباهُ

وفي العين غنى للمر ءِ أن تنطق أفواهُ (3)

ومثل ذلك البيان في الكتابة، وبالقلم الذي لا يقتصر على الحاضر وانما يتعدى ذلك الى مستقبل الأيام، ويكون متداولاً في أماكن مختلفة. بينما الكلام المباشر يكون للسامع فقط . ومع التطور في الاتصالات يمكن ان تكون التسجيلات بديلة لنقل الأصوات . الا ان القلم يكون أحد اللسانين . وقد اقسم الله جلَّ جلاله وعمَّ نواله، قال تعالى : ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم:1).

ويتجه البيان الى الايجاز ، ومن أوجز الكلام قوله سليمان عليه السلام لبلقيس: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ (النمل: 30 – 31).

فجمع في ثلاثة أحرفِ العنوان والكتاب والحاجة وإظهار الدين وعرض الرشاد الى المكتوب اليهم (4) .

وكتب المعتصم الى ملك الروم جوابه عن كتاب تهدده فيه : (الجواب ما ترى لا ما تسمع)(5)، وقد أعطى جعفر بن يحيى التوجيه لكتابه ((ان استطعتم ان يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا))(6) .

أي في الفصاحة والبيان الذي يتمثل فيه قوله المبرد : ((الاختصار المُفهِمُ)) (7)

البيان وقضاء الحاجة :

قال عمر ﷺ ((من أفضل ما أعطيته العرب الابياتُ يقدّمها الرجلُ امام حاجته، فسيتعطفُ بها الكريم ويستنزل بها اللئيم)) (8) .

لان الكلمة الطيبة ترقق القلب فاذا كانت مؤثرة فهي تساعد فعلاً في استجابة المخاطب .

وأحياناً يكون السحر البيان موهبة تتعلق بالكاتب وظروفه وربما يكون الحب أو الراحة او السعادة سبباً للبيان العالي لانه يتأثر بالعاطفة، ((ولن تجد في تاريخ الاداب العربية كاتباً مجيداً ...

(1) م . ن : 24/ 1 لم اقف عليه في الديوان .
(2) م . ن : 71/ 1.
(3) عيون الاخبار : 182/ 2.
(4) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء البلغاء : 65/ 1.
(5) م. ن : 65/ 1.
(6) البيان والتبيين : 94/ 1.
(7) الكامل : 40/ 1.
(8) م.ن : 103/ 1.

خلت نفسه من رقة الحب وقسوة البعض. فالسر في عبقرية البحتري مثلاً يرجع الى قوة شغفة بمعالم الجمال))[1] .

فالبيان والادب تعبير عن شخصية الكاتب والعلاقة بين البيان ونفس الكاتب أكيدة ليس هناك من ينكرها [2] .

وفي مقابل ما ذكرناه فان الذي يُحرم الكلام الطّيب المؤثر وربما يبتلى بكثرة الكلام الذي لا يتمثل فيه البيان أو الذي يتفيهق في كلام فان هذا الانموذج مذموم .

وفي الحديث الشريف ((ألا أخبركم بأبغضكُم إليَّ وأبعدكم مني مجالسَ يوم القيامة ؟ الثرثارون المتفيقون)) [3] .

وكلما ازداد رونق الكلام واقترب من سحر البيان ، ابتعد عن العي باللسان الذي يعدَّ عيباً. فقد شبّهَ الله اهل العي باللسان ورداءة الكلام بالنساء والولدان يقول سبحانه﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ (الزخرف: 18).

المبحث الثاني
مستلزمات سحر البيان

تناسب اللفظ والمعنى :

ان الكلمات المجردّة والالفاظ متاحة للجميع، وهي لوحدها دون المعنى لا تمثّل البيان الساحر، وإنما عندما تتألفّ منها المعاني ((في صورة هي أبهى وأزين، وأنق وأعجب، وأحق بان تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب))[4].

ومن كمال السحر الحلال المعرفة بساعات القول، وعدم التوقع بما يلتبس الأمر على السامع، يؤطر ذلك البهاء والوقار والأخلاق الطيبة، ومراعاة عمر المتكلم والسمت والحال، ولعل من المؤثرات والمقاييس هو أن ننظر الى المستمع فما دام ينظر الى المتكلم وعيونه معقودة عليه، فإذا لاحظ غير ذلك فالأجدر به أن يتوقف ويتخلّص من ذلك، لأنهم لا يطيقون فانه يبتعد عن السحر الحلال، وسحر البيان. لانه من المستلزمات الأساس مع سحر البيان، حسن الاستماع، حتى ينتهي المتكلم من حديثه. و ((من أطال الحديث فقد عرض نفسه للملل ولسوء الاستماع)) [5] .

ويأتي البيان بالتدريب، فهو مكتسب، حتى يكون طبعاً في الانسان، وينمي القدرة بالقراءة، ويتمكن من الاعراب، ويزيد القدرة كلما تخيّر الألفاظ وتمكن من التنسيق بينهما مقتدياً بكلام الرسول ﷺ .

طبيعة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن أم المؤمنين عائشة قالت :

(كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا. وكان يتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول ولا تقصير .... وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ..... ويكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره))[6] .

والقاعدة الأساسية للتدريب على حسن البيان، المصدر والمرجع في فهم اللغة وتذوقها هي دراسة القرآن الكريم والتفاسير المعتمدة ، فلغة القرآن لغة البيان المعجز [7] .

(1) النثر الفني في القرن الرابع : 161/ 2.
(2) التفسير النفسي للادب : 13 .
(3) الترمذي / 2018.
(4) دلائل الاعجاز : 20 .
(5) التعازي والمراثي : 300.
(6) المهذب من احياء علوم الدين : 492/ 1.
(7) فن التحرير العربي – ضوابط وانماطه : 26 .

فلم تكن اللغة العربية كما ننطق بها ، الآن ، بل مرّت بأطوار مختلفة عديدة وكأن الله أراد لها أن تتوّحد بهذا الكتاب المنزّل [1] .

لان البيان في القران مقصود في كل لفظة ، وفي كل حرف يتعلق بالتعبير القرآني كلّة . [2]

الحفاظ على سحر البيان وتطوره :

عندما يسمع الانسان أو يقرأ كلاماً يعجبه يمثل مستوى رفيعاً ، فالأجدر أن يحفظه لأن الحفظ موَكَّلٌ بهذه الكلمات الساحرة ، أو كتابتها من أجل ردة الفعل على وجوه سامعيه فاذا لم يجدهم قد أعجبوا به كما أعجب بالكلام ، فلا يردده مرة أخرى .

الرواية والبديهة : والفرق بينهما واضح والفضل للبديهة يقول ابن الرومي :

نارُ الرَوِّيةِ نارٌ غيرُ منضجةٍ
وللبديهةِ نارٌ ذاتُ تلويحِ
وقد يفضلها قومٌ لعاجِلها
لكنهَّ عاجلٌ يمضي مع الريحِ [3]

ويقول المتنبي :

أَبلَغُ مايُطْلَبُ النَّجاحُ بهِ
الطَّبْعُ وعِنْدَ التَّعنَّقِ الزَّلَلُ [4]

والذي يؤثر في السامع هو الذي يرتجل على البديهة، والبديهة فيها الفكرة والتأييد ، أما الارتجال فما يأتي منهمراً متدفقاً كالشلال [5] .

الادب العظيم :

(كلام اللبيب ، وإنْ كان نَزراً ، أدبٌ عظيم)[6] .

ومن تمام الادب العظيم في القول ان يخزن الانسان نفسه وكلامه إلا عند إصابة الموضع ، وبعكسه يكون الانسان قد أحرج نفسه ، ولعل من المفيد لنا ان نعرف من نجالسهم ، اننا نحرص على السمع وليس على القول لان بعض البيان عيٌّ، عندما يتخلله سقط الكلام .

ويكون الأفضل دائماً أن لا نتكلم بكلام رفيع المستوى في البيان الى أناس حقراء ، ولا نتكلم بكلام غير مناسب الى أناس فضلاء

الصمت :

وسحر البيان لا يناسبه فضول الكلام وإلا فالصمت أفضل منه يقول الشافعي:

لا خير في حشو الكلا
م إذا اهتديتَ الى عيونِهْ
والصمت أجمل بالفتى
من منطقٍ في غير حينِهْ [7]

ويقول الشافعي ايضاً :

وجَدْتُ سكوتي مَتجراً فلزمتَهُ
إذا لمْ أَجِدْ ربحاً فلست بخاسِرِ
وما الصَّمتُ إلا في الرَّجالِ متاجِرٌ
وتاجُرهُ يعلُو على كلِّ تاجرِ [8]

سحر البيان لمن يستحقه :

نعم لمن يستحقه ، فلكل مقام مقال ، ولا نضّيعه لمن لا يستحق

يقول الشافعي :

أَأَنثُرُ دُرّاَ بين سارحة البَهمْ
وأَنظمُ منثوراً لراعية الغَنمْ
لعمري لئن ضُيّعتُ في شَرّ بلدَةٍ
فلست مُضيعاً فيهمْ غُرَرَ الكَلِمْ [9]

---

(1) قصة الادب في الحجاز : 193 .
(2) التعبير القرآني : 10 .
(3) ديوان ابن الرومي : 339 .
(4) ديوان المتنبي : 93 .
(5) العمدة : 164.
(6) الادب الصغير والادب الكبير : 28.
(7) ديوان الشافعي : 71.
(8) م . ن : 31.
(9) م . ن : 58 .

وقد يكون البيان على مستوى رفيع كما امتدح المتنبي نفسه عندما قال :

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي
واسمعت كلماتي من به صمم [1]

ولأن الأمر يتعلق بالسامع أيضاً فربما لا يبدو كذلك فيقول المتنبي :

وكم من عائب قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذُ الاذان منه
على قدر القرائح والعلوم[2]

تمام المستلزمات :

ان دواعي البحث العلمي جعلتني أقف عند ادبيات الموضوع ومنها :

- سعادة المتكلم أن يفهم المستمعون اليه، فيتعلم هو حسن الاستماع كما يتعلم حسن البيان وروعة المقال[3] ويمتدح فلان فيقال: في الاستماع ذو اذنين، وفي الجواب ذو لسانين .

- ويمتدحون الشعر غير مكرر المعنى او المعروف فيقول أبو تمام

مُنَزَّهةٌ عن السَّرِقِ المّورّى
مُكَرَّمةٌ عن المعنى المعارِ[4]

- واذا كان صاحب البيان ارسل بيانه مكتوباً فمن تمام الحسن أن يختم الكتاب ، واذا كان بغير ختم (يسمى أقلف)[5] يقول الله ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ (الواقعة: 78) أي مختوم .

ومن تمام حسن الكلام :

(لا يتم حسنُ الكلامِ إلا بحُسنِ العملِ)[6].

المبحث الثالث

سحر البيان في الميدان

من الأمثلة على القدرة البيانية :

لما كان واصل بن عطاء رئيساً لفرقة المعتزلة ويتطلب منه المحاججة والمناقشة ليستميل اليه القلوب، ويجذب الانظار وكان ألثغا فاحش اللَّثغ بحرف الراء، واشتدت حاجته الى حسن البيان والكلام البليغ، فكيف يعطي للحروف حقها مع حرف الراء الذي يكثر استعماله لكنه بالدّربة والمكابدة أسقط حرف الراء تماماً ولم ينطق به في أحرج المواقف[7].

وفي موقف أرادوا أن يحرجوه فدفعوا اليه ورقة وطلبوا منه قراءة المكتوب فيها، وكان قد كُتب فيها: أمر أمير الامراء حفر بئرٍ في الصحراء ليشرب الشارد والوارد فتناولها وقرأ على الفور: حكم خليفة المسلمين نبش قليب في الفلاة ليستقي منها الغادي والبادي وذلك بفضل ما يحفظ من مرادفات ومفردات .

أثر البيان في الاريحية :

لما امتدح أبو تمام أحد ممدوحيه الحسن بن رجاء ووصل الى قوله :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيلُ حربٌ للمكان العالي [8]

قام واقفاً وقال :

(والله ما سمعتها إلا وأنا قائم لما تداخله من الاريحية) .

(1) ديوان المتنبي : 214.
(2) م. ن : 212.
(3) محاضرات الادباء : 1/ 79.
(4) م . ن : 1/ 97 . ولم اقف عليه في ديوانه .
(5) محاضرات الادباء : 1/ 119.
(6) الادب الصغير والادب الكبير : 57.
(7) البيان والتبيين : 1/ 30 – 31.
(8) ديوانه : 38/ 2.

فلما فرغ قال: ما احسن ما جلوت هذه العروس : فقال أبو تمام : لو أنها من الحور العين، لكان قيامك أوفى مهر لها [1] .

الوجه الآخر للبيان :

وهذه القدرة البيانية على درجات، حتى يمكن أن يتوصَّل البعض بسبب بيانه الى الباطل، ويحكم له القاضي بالحكم له، لكن هذا لا يعدُّ من السحر الحلال، وإنما الذي يستعمل قدرته البيانية في طاعة الله، ويلتف حوله الناس يحبّونه لمنطقه الساحر ويؤلّف بين قلوبهم، ويقرّبهم لله وكلما كان البيان أسهل وأوضح كان الأفضل، وعلى مدى العلاقة بين المتكلم والسامع ((والمفهم لكَ والمتفهم عنك شريكان في الفضل إلا ان المُفَّهِم أفضلُ من المتفَهِم))[2].

السحر الحلال ينمي العقول :

أي سحر البيان، وهو في المنطق، الذي يأتي بالتعلّم، الكلمة والحروف، فاذا اكتسبه الانسان فمثله مثل الذي ملك المجوهرات الثمينة من اللؤلؤ والياقوت والمرجان، ينظّم منه القلائد، مثله مثل الصائغ فالذي يستثمر ذلك ويجري على لسانه البيان الحسن كمن يصوغ الحلي التي يعجب بها الناس .

وتأسيساً على هذا فإنن من يأخذ كلاماً حسناً عن غيره ويكون على لسانه منساباً في مواقف يتكلم بها، فقد اقتدى بالصالحين وحالفه التوفيق بالأخذ عن الحكماء والبلغاء وقد بلغ الغاية [3] .

وإذا استمع الى كلام وأعجب به، فلا ينسبه الى نفسه يتزيّن به عند الناس وانما ينسبه الى صاحبه ولعل الاسوأ من ذلك عندما يتحدث الانسان بكلام غيره وهو يسمع فان في ذلك جمع الظلم مع قلة الحياء لذلك فمن حسن الخلق أن ننسب الكلام الى صاحبه، ويتزيّن به ما استطاع.

وصال بعد القطيعة بسبب البيان :

حكاية أبو حمزة الضبي الذي هجر زوجته ، ولم يدخل بيته عندما ولدت زوجته بنتاً وصادف أن مرَّ يوماً جنب خيمتها وهي تلاعب أبنتها وتقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تالله ما ذلك في ايدينا
وانما نأخذ ما اعطينا
ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا))[4].

ولما سمع هذه الابيات رق قلبه ودخل البيت وقبّل امرأته وابنتها وندم على موقفه بفضل هذا البيان الساحر الذي تعلقت به نفسه وحرك مشاعر الأبوة النائمة .

ليلة العرس :

زفت العروسة الى العلامة عبدالله باعلوي ليتزوجها ولما دخل غرفة الزفاف صادف ان رأى كتاب (الارشاد للشيخ إسماعيل المقري فتناوله واستغرق في مطالعة ذلك الكتاب الى أذان الفجر والعروسة مسندة [5]. وفي هذه الواقعة يجد الباحث من المناسب القول : هذا بالسحر الحلال ، فكيف يحصل مثل هذا الاندماج في مثل هذه الليلة في عمر الانسان لولا جذب قوة البيان .

ويعدُّون الجمال في اللسان من خلال الكلام السلس، ويفضِّلونه على الطعام: لوكان الكلام

(1) محاضرات الادباء : 1/ 91.
(2) م . ن : 1/ 29.
(3) الادب الصغير والادب الكبير : 12 – 13.
(4) البيان ، 1/ 165
(5)))) قيمة الزمن عند العلماء : 147

page/https://ar.lib.eshia.ir

طعاماً، لكان هذا أداماً. كلام يقطر عسله. هذا والله نثر نغم أحسن من نثر نعم.

قال المتنبي :

إذا ما صافح الأسماع يوما
تبَّسمَتِ الضمائرُ والقلوبُ[1]

وفي الجهاد والقتال صور الشعراء الطيور والسباع وهي تتبع الجيوش من أجل أن تأكل لحوم الأعداء الذين سيقتلون يقول أبو تمام :

وقد ظُلَّت عقبانُ أعلامه ضحى
بعقبان طير في الدماءِ نواهلِ
اقامت مع الرايات حتى كأنها
من الجيشِ إلا انها لم تقاتلِ[2]

يقول بشار :

اذا ما غزا بشَّرَتْ طيرهُ
بفتحٍ وبشَّرنا بالنِّعم [3]

والمتنبي :

تدوسُ بكَ الخيلُ الوكورَ على الذّرى
وقد كثرت حولَ الوُكور المطاعمُ
أينكر ريحَ الليثِ حتى يذوقهُ
وقد عرفت ريحَ الليوثِ البهائِمُ [4]

ويصوّر الشاعر أحلامه بلقاء المحبوب لكن في الحقيقة لا يمكنه الوصال ، يقول البحتري :

أهلاً بزائرنا الملمِّ لو أنه
عرفَ الذي يعتادُ من إلمامهِ
جذلان يسمحُ في الكرى بعناقه
ويضنّ في غير الكرى بسلامهِ[5]

وفي التسلية ودعوة القلب الى ذلك يقول المتنبي :

وأعلم أنَّ البينَ يشكيك بعده
فلست فؤادي إن رأيتك شاكياً [6]

وكيف يصور الشاعر العباسي السهل اللقاء الصعب المنال يقول أبو نواس :

مبذولةٌ للعيونِ وجنتُه
ممنوعَة من انامِلِ الجاني
وليست لي فيه ما خلا نظر
يَشركني فيه كلَ انسانِ [7]

كيف يصور الشاعر طول الليل يقول ابن الرومي:

رب ليل تراه كالدهر طولا
قد تناهى فليس فيه مزيدُ
ذي نجوم كأنهن نجوم الشيـ
ـب ليست نغور لابل تزيدُ [8]

يتقلب على الفراش من الارق يقول أبو العتاهية :

أبيتُ قلقاً وسادي
أُروّحُ بالدموع عن الفؤادِ[9]

التعبير عن ضعف الجسم والنحافة الشديدة يقول أبو نواس:

تركت جسمي قليلاً من القليل أقلاَّ
يكادُ لا يتجزّأ أقلَّ في اللفظ مِن لا[10]

ويقول المتنبي :

وخيالُ جسمٍ لم يخلِّ له الهوى
لحماً فينحلة السقامُ ولا دما[11]

(1) محاضرات الادباء :68/ 1 وفي ديوان المتنبي (البيت) : 204/ 1.
(2) ديوان ابي تمام : 187 .
(3) ديوان بشار :217.
(4) ديوان المتنبي : 249.
(5) ديوان البحتري : 382/ 2.
(6) ديوان المتنبي : 284.
(7) ديوان أبي نؤاس : 188
(8) ديوان ابن الرومي : 523.
(9)ديوان ابي العتاهية : 159.
(10)ديوان ابي نؤاس : 307.
(11)ديوان المتنبي : 12 .

وكثيراً ما علق النقاد والادباء على قول حماد بن عجرد يهجو الشاعر بشار برد :[1]

ويا أقبحَ مِن قِردٍ إذا عَمِيَ القِرد

وتذكر المصادر ان بشار لم يجزع من شيء كجزعه من هذا البيت الذي أبكاه. فعلاً ان للكلمة وقعها في النفس توازي ضربة السيف، ولا زلنا جميعاً وسيظل العالم أسير الكلمة الطيبة، وسعيدٌ من يقدر عليها ويتكلم بها ويتألف القلوب حوله .

النتيجة :

نخلص الى القول مما تقدم أننا نتمنى للناشئة ان يعلموا أن السجع والتكلّف مذموم في الحديث ولا تكون سلامة البيان بمجرّد السهولة وسلامة الالفاظ ، وانما يأتي من مزايا النظم مجتمعة .[2]

والفرق بين هذا وذاك ، أي الذي يحسن البيان اللؤلؤ ، وبعكسه كالحصا كما يقول الشاعر :

ومن الناس من لفظه لؤلؤ
يبادره اللفظ إذ يلفظ
وبعظهم قوله كالحصا
يُقال فيلغى ولا يحفظُ [3]

ومن أجل ذلك لا يكن المرء قليل الكلام والسلام ، ولا بإفراط ، ولا سيما عند مقابلة الأحباء، فالأول من الكِبر والثاني المبالغ فيه ربما يحملُ على السخف[4] .

وخير الأمور الوسط دائماً، ويتمكن من الموازنة في ذلك من يجهد نفسه ويتصبّر على حب اللغة العربية وحفظ الالفاظ والمعاني فالرجل هو الأسلوب. والحمد لله، اللهم ارزقنا قول الحق الجميل وحببنا الى الخلق بالكلام الطيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

الخاتمة :

ويمكن أن نقف عند النقاط الآتية :

1. مراجعة واقع اللغة العربية، من الأهمية بمكان من أجل التهيء لمستقبلها .
2. جميع أبناء الامة، ولا سيما طلبة العربية أن يعدون الاعتزاز باللغة العربية واجباً مشرفاً ويؤجرون عليه. من أجل توسيع دائرة الفصحى والتحدث بها لتستعيد اللغة العربية مجدها.
3. من عوامل الضعف الحاصل في اللغة العربية بسبب المختصين بها وليس في أصل اللغة والواجب التحدث بالفصحى، وليس من الصواب أن نذير ظهورنا إليها بل نتلذذ في التحدث بها لسحر البيان فيها.
4. ستظل اللغة العربية، لغة الأدب والعلوم والتأليف ، لما لها من رونق عجيب ساحر إذا تحدث بها المتحدثون .
5. لقد منح القرآن الكريم لهذه اللغة قوة عظيمة في الألفاظ والكلمات والمعاني فتألقت على اللغات، بهذه الجمالية والشفافية فلا داعي للتعلق بلغات أجنبية أخرى.

(1) بيان والتبيين : 1/ 41 .
(2) دلائل الاعجاز : 341.
(3) اللزوميات : 81 .
(4) الادب الصغير والادب الكبير : 60 .

المصادر

1. الاصفهاني – أبو القاسم الحسن محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (4ج) اعتنى به سجيع الجبيلي – ط– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان –(2009م).
2. ابن رشيق – أبو علي القيرواني – العمدة في نقد الشعر وتمحيصه – شرح د.عفيف نايف – ط 1 – دار صادر بيروت(2006م) .
3. ابن الرومي – أبو الحسن علي بن العباس – ديوان ابن الرومي – شرح الأستاذ احمد حسن بسج – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
4. ابن قتيبة – أبو محمد عبدالله بن مسلم – أدب الكاتب – تحقيق علي محمد زينو (ط1) مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت – لبنان (1429هـ – 2008م) .
5. ابن المقفع – أبو عمر عبدالله الادب الصغير والادب الكبير دار صادر بيروت (2007م) .
6. أبو تمام – حبيب بن أوس الطائي ديوان ابي تمام قدّم له عبد المجيد يونس عبدالفتاح مصطفى – مكتبة محمد علي صبيح وأولاده مطبعة حجازي ميدان الازهر – مصر .
7. أبو العتاهية – إسماعيل بن القاسم (د.ت) تحقيق شكري فيصل – دار الملاح دمشق .
8. أبو غدة – الشيخ عبدالفتاح قيمة الزمن عند العلماء – اخرجه : سلمان بن عبدالفتاح – ط 14 – مكتبة المطبوعات الإسلامية – بيروت – لبنان(1431هـ – 2010م) .
9. أبو نؤاس – الحسن بن هانئ (د.ت) ديوان برواية الصولي . تحقيق د. بهجت عبدالغفور الحديثي – هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – الامارات .
10. إسماعيل – د. عز الدين – التفسير النفسي للأدب دار المعارف – مصر (1963م).
11. البحتري – الوليد بن عبيدالله (د. ت) ديوان البحتري – شرح وتقديم : حنا فاخوري – دار الجيل – بيروت .
12. بشار – أبو معاذ بن برد ديوان بشار بن برد – تحقيق الشيخ الطاهر بن عاشور – مطبعة لجنة التأليف النشر – القاهرة – مناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.
13. الجاحظ – أبو عثمان عمرو البيان والتبيين – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة ابن سينا – مطابع العبور الحديثة – القاهرة (2010).
14. الجرجاني – الامام عبد القاهر (دلائل الاعجاز) صححه وشرحه احمد مصطفى المراغي – دار الكتب – ط2– المكتبة المحمودية – مصر .
15. الرازي – محمد بن ابي بكر مختار الصحاح دار الرسالة – كويت (1402هـ – 1983م) .
16. الرافعي – مصطفى صادق – وحي القلم – تقديم محمد سعيد العريان دار ابن كثير – دمشق – دار التربية بيروت(2007م) .
17. السامرائي – فاضل صالح . التعبير القرآني (ط5) – دار الاعجاز – الأردن .
18. الشافعي – محمد بن ادريس ديوان الشافعي – دار صادر – بيروت .
19. الشنطي – د.محمد صالح – (1422هـ) فن التحرير – ضوابطه وانماطه – 0ط5) دار الاندلس للنشر والتوزيع – العددية
Books,https://www.alarabimag.com
20. الصافوري الشافعي – عبدالرحمن بن سلام (1430هـ – 2010م) نزهة المجالس ومنتخب النفائس تحقيق صبري مرسي فتح الله (ط2) دار

الفجر – القاهرة .
21. عبدالجبار – عبدالله + خفاجي – (1980م) قصة الادب في الحجاز عبدالله عبدالجبار+ محمد عبد المنعم – مكتبة الكليات الازهرية القاهرة .
22. الغزالي – الامام أبو حامد (المهذب من احياء علوم الدين اعداد احمد الشامي – ط2– دار القلم دمشق – الدر الشامية – بيروت 1419هـ 1998م) .
23. مبارك – زكي – النثر الفني في القرن الرابع المكتبة العصرية صيدا – بيروت.
24. المبرد – أبو العباس محمد بن يزيد كتاب التعازي والمراثي – تحقيق محمد الديباجي – ط2– دار صادر – بيروت (1412هـ – 1992م).
25. المبرد – الكامل – تحقيق د.محمد أحمد الدالي ط5 مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان(1429هـ – 2008م) .
26. المتنبي – أبو الطيب احمد بن الحسين ديوان المتنبي ط2– دار صادر بيروت (2008م) .
27. المعري – أبو العلاء احمد بن سليمان اللزوميات تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي – مكتبة الهلال – بيروت – مكتبة الخانجي – القاهرة (2010م).
28. ديوان العرب – (ان من البيان لسحراً) hattps://www.diwanaarab.com